THE INFLUENCE OF GREEK PHILOSOPHY ON ISLAMIC CULTURE
AL-TAWHIDI IS A MODEL

Nada Mousa ABBAS¹

Istanbul / Türkiye
p. 528-542

Received: 02/12/2021
Accepted: 16 /12/2021
Published: 01/01/2022

This article has been scanned I
iThenticat No plagiarism
detected

Abstract:

The East, with its ontological history, is full of religions, and the spirituality of the eastern mind is evident in its love for the literature of proverbs and wisdom that it was able to formulate, and its sanctification of the word is only due to its magical impact on himself; It is his consolation for his painful reality! It deals with its concepts and religious and worldly matters, and that he did not digest Greek philosophy until after the writers presented it with short sentences with wise meanings from the sayings of its philosophers! It is known that wisdom and proverbs are advice, guidance, advice and exhortation, expressing a subjective experience, length of contemplation and insight into life matters, and they often have moral dimensions and that they are suitable for all human societies in a time and place.

The concept of culture is so complex that it includes all human aspects. Speaking about the impact of Greek culture on Arab culture or even the presence of multiple connections, it stems from the phenomenon of influence and influence. Greek philosophy was mixed with Islamic thought and culture in the Abbasid era in general, and Arabic literature in general. In particular, it became one of the tools of expression, and the Greek philosophical culture penetrated into the Arab culture (its terms, concepts and sayings of its philosophers) until it spread in its three types: pure philosophical culture, literary philosophy, and philosophical literature. Islamic Society As the names of Greek philosophers gained popularity among members of society in all its classes!

The research focused on the issue of the impact of Muslim writers on the dissemination of Greek philosophical culture in the Abbasid era, taking from Abu Hayyan al-Tawhidi (d. 414 AH / 1023 AD) as a model; Although al-Tawhidi was not unique in mixing literature with philosophy; But it is a typical example of the writers of the Abbasid era who were influenced by Greek philosophy and whose literary culture was mixed with Greek philosophy. Greek philosophy has spread among members of the Islamic community by publishing the wisdom, proverbs and sayings of Greek philosophers and scientists.

The research was divided into three sections that dealt with the first topic: the relationship between literature and philosophy,

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.15.37>

¹ Dr. , Diyala University, Iraq, nadaal.mosawi@yahoo.com

while the second topic: the reasons for monotheistic influence on Greek philosophy, and the third topic: it follows the impact of Greek philosophy with the works of monotheism.

Key words: Culture, Philosophy, Literature.

تأثير الفلسفة اليونانية في الثقافة الإسلامية

ندى موسى عباس 2

الملخص:

الشرق بتاريخه الأنطولوجي حافل بالأديان، وروحانية العقل الشرقي ظاهرة في حبه لأدب الأمثال والحكم التي جبل على صياغتها، وما تقديسه للكلمة إلا لوقعها السحري في نفسه، فهي عزاءه عن أليم واقعه! يعالج بها مفاهيمه وأموره الدينية والدينيوية، وأنه لم يهضم الفلسفة اليونانية إلا بعد أن قدمها الأدباء بجمل قصيرة ذات المعاني الحكيمة من أقوال فلاسفتها! والمعروف أن الحكم والأمثال هي نصيح وإرشاد ونصح وموعظة، تعبر عن تجربة ذاتية وطول تأمل وتبصر بأمور الحياة وغالباً ما تكون ذات أبعاد أخلاقية وأنها تصلح لكل المجتمعات الإنسانية في زمان ومكان.

ركز البحث على مسألة أثر الأدباء المسلمين في نشر الثقافة الفلسفية اليونانية في العصر العباسي متخذاً من أبو حيان التوحيدي (ت 414هـ / 1023م) أنموذجاً، ومع أن التوحيدي لم يكن متفرداً بمزجه الأدب بالفلسفة، لكنه مثال نموذجي لأدباء العصر العباسي ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية واختلطت ثقافتهم الأدبية بالفلسفة اليونانية، فقد شاعت الفلسفة اليونانية بين أفراد المجتمع الإسلامي بنشر الحكم والأمثال والأقوال للفلاسفة والعلماء اليونانيين.

الكلمات المفتاحية: تاريخ، فلسفة، التوحيدي.

المقدمة:

الشرق بتاريخه الأنطولوجي حافل بالأديان، وروحانية العقل الشرقي ظاهرة في حبه لأدب الأمثال والحكم التي جبل على صياغتها، وما تقديسه للكلمة إلا لوقعها السحري في نفسه، فهي عزاءه عن أليم واقعه! يعالج بها مفاهيمه وأموره الدينية والدينيوية، وأنه لم يهضم الفلسفة اليونانية إلا بعد أن قدمها الأدباء بجمل قصيرة ذات المعاني الحكيمة من أقوال فلاسفتها! والمعروف أن الحكم والأمثال هي نصيح وإرشاد ونصح وموعظة، تعبر عن تجربة ذاتية وطول تأمل وتبصر بأمور الحياة وغالباً ما تكون ذات أبعاد أخلاقية وأنها تصلح لكل المجتمعات الإنسانية في زمان ومكان.

إن مفهوم الثقافة من التعقيد يصل لدرجة أنه يشمل جميع النواحي الإنسانية، وفي الحديث عن أثر الثقافة اليونانية في الثقافة العربية أو حتى بوجود الصلات المتعددة، فإنه ينطلق من ظاهرة التأثير والتأثر فلقد امتزجت الفلسفة اليونانية بالفكر والثقافة الإسلامية في العصر العباسي بشكل عام، وبالأدب العربي بشكل خاص حتى أصبحت من أدوات التعبير، وقد تغلغت الثقافة الفلسفية اليونانية في الثقافة العربية (مصطلحاتها ومفاهيمها وأقوال فلاسفتها) حتى شاعت بأنماطها الثلاثة وهي: الثقافة الفلسفية

² د.، جامعة ديالى، العراق، nadaal.mosawi@yahoo.com

البحث، الفلسفة الأدبية، والأدب الفلسفي ولهذا فقد ظهرت في نتاجاتها هموم ومشاكل فلسفية وإنسانية معبرة عن واقع البيئة في المجتمع الإسلامي كما اكتسبت أسماء فلاسفة اليونان شهرة شعبية بين أفراد المجتمع بمختلف طبقاته!

ركز البحث على مسألة أثر الأدباء المسلمين في نشر الثقافة الفلسفية اليونانية في العصر العباسي متخذاً من أبو حيان التوحيدي (ت 414هـ / 1023م) أنموذجاً، ومع أن التوحيدي لم يكن متفرداً بمزجه الأدب بالفلسفة، لكنه مثال نموذجي لأدباء العصر العباسي ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية واختلطت ثقافتهم الأدبية بالفلسفة اليونانية، فقد شاعت الفلسفة اليونانية بين أفراد المجتمع الإسلامي بنشر الحكم والأمثال والأقوال للفلاسفة والعلماء اليونانيين.

يبدو تأثر التوحيدي بالفلسفة اليونانية واضحاً بما أقتبسه من أقوال قصيرة حملت طابع الحكمة وبثها بين دفات كتبه لأشهر وأبرز وأهم الفلاسفة اليونانيين (الإغريق)، وكان قصده من تطعيم نتاجاته الأدبية وثقافته الإسلامية المحلية بثقافة الفلسفة اليونانية هو لتطويع المعنى وتعميقه للقارئ بشكل محسوس وتأكيد على المعلومة النافعة وتقريب فهم المعاني والقضايا والمسائل للخاص والعام كمعرفة عقلية ومنطقية، بذوقه الأدبي وعبارته الرصينة وأسلوبه العذب الجزيل والممتع والمحبب إلى العامة والخاصة وبالسبل الممتنع.

لقد عكست مقتبسات التوحيدي للأقوال الفلسفية اليونانية، عقليته الفكرية الأرستقراطية المفتوحة للعلوم والمعارف والفلسفة وكل ما يخص طبقة العلماء والفلاسفة والمفكرين، ودرأته بثقافة عصره، فوبدا شغوفاً بالحكمة والمنطق والفكر والأقوال لفلاسفة اليونان مطلعاً عليها! فملاً مؤلفاته بالكثير من الاحالات للفلاسفة اليونانيين فنشر بين طيات كتبه ومؤلفاته ك الإمتاع والمؤانسة والبصائر والذخائر والهوامل والشوامل والمقابسات والصدقة والصدق مقتبسات متنوعة من التراث الأدبي العربي وأقوال وحكم للفلاسفة اليونانيين، مستعيناً بها في توضيح المعاني والمفاهيم والرؤى لخواطره وأفكاره ومحاولاً لتحليل وتفسير الظواهر والحالات التي يشخصها في مجتمعه وبيئته.

تعتبر كتابات التوحيدي مؤلفات لا نظير لها من بين الكتب الباقية من التراث الإسلامي الوسيط كما أن أسلوبها البالغ الأحكام يتسم بروعة ملحوظة، وقد أحرز بسبب اهتمامه الشديد بدراسة اللغة والأسلوب بالمعاني والألفاظ نجاحاً كبيراً آخر، ومع ذلك فقد أستمّد بعض أفكاره من المصادر الفلسفية اليونانية القديمة، وعد ذلك ابتكاراً أصيلاً لأهل الأدب المسلمين في العصر العباسي بالدرجة الأولى وبشكل ملحوظ.

قسم البحث إلى ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول: العلاقة بين الأدب والفلسفة، فيما بين المبحث الثاني: أسباب تأثر التوحيدي بالفلسفة اليونانية، أما المبحث الثالث: فتتبع أثر الفلسفة اليونانية بمؤلفات التوحيدي.

أولاً: العلاقة بين الأدب والفلسفة:

من الطبيعي أن نتساءل هنا هل تأدب الإنسان فبحث عن المعاني والأفكار لتنشأ منها الفلسفة؟! أم أنه تفكر وتفلسف فبحث عن أسلوب يعبر به عما يجول في خياله وخواطره فأنشأ الأدب؟! ليس بالإمكان تحديد أفضلية السابق لمن هل هي للأدب أم للفلسفة؟! ذلك إن المحفزات والدوافع عند الإنسان هي ذاتها قد خلقت كلا الإبداعين! ويمكن عدّها قطبان رئيسيان في تاريخ الفكر الإنساني وأن كان لكل منهما خصوصيات بالمواضيع والمقاصد والبنية (حمراوي، 2017، الصفحة 358)، وفي العصر العباسي بدا لنا الأدب وقد حمل بين جنباته هموم وقضايا إنسانية برؤى ونظرات فلسفية!

تعد اللغة القاسم المشترك الأول والأهم بين الأدب والفلسفة! أما القاسم المشترك الثاني بينهما فهو استخراج الأفكار واستنباط المعاني، والقاسم المشترك الثالث هو التصورات الخيالية والعاطفية المبدعة والملهمة، فضلاً عن القاسم المشترك الرابع وهو العناية بالقيم والمبادئ الأخلاقية الدينية والدينيوية! ولذا فقد بدا التداخل واضحاً سواء في تضمين الأدب أفكاراً فلسفية، أو بمعالجة

قضايا فلسفية بأسلوب أدبي جميل واضح وسلس وأيضاً جميل ومبدع! يشد الإحساس إليه قبل الفهم، ومما هو مؤكد ان العديد من الأدباء كانوا قد استوحوا بعض أفكارهم ومسائلهم من مناهج العلوم الإنسانية، كعلم الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع! (ماشيري، 2009، الصفحة 12، حمراوي، 2017، الصفحة 361).

إن التمازج بين الأدب والفلسفة لا يعني ذوبان الحدود بينهما أو تلاشيها! فالاختلاف بينهما قائم ف العملية الأدبية تتميز بجرعة من الخيال وتحكمها الجمالية والفنية في أساليبها، واما الكتابة الفلسفية فتغلب عليها النظرة العقلية والمنطقية لقضاياها، ولها مميزات في تراكيبها وموضوعاتها ولغتها (حمراوي، 2017، الصفحة 359) ومع ذلك فإن هذا الاختلاف لا ينفي أن يحمل الأدب مضامين فلسفية وفكرية، كما أنه لا ينفي جمالية الخطاب الفلسفي وإبداعاته، وفي الحقيقة أن الكثير من الخطابات الفلسفية القديمة والحديثة عرفت تسلسل جماليات التعبير الأدبي في ثناياها، بل كانت تعبر عن أعمق القضايا الفلسفية في قالب أدبي (حمراوي، 2017، الصفحة 361).

لقد حمل العديد من الفلاسفة وعلى مر العصور هموم الإنسانية سواء كانت علمية أم أدبية! وعلى الرغم من لغتهم الصارمة المجردة المعقدة في غموضها ومنطقها وعقلانياتها، لكنهم جمعوا بين أناقة اللغة الأدبية والمضامين الفلسفية العميقة والمتعمقة (حمراوي، 2017، الصفحات 362، 363) فلا أهمية لفلسفة تحلق في التجريد دونما مساس بحياة الناس واهتماماتهم وانشغالهم كما أنه لا أهمية لأدب في أي جنس أدبي كان، إذا خلا من المعنى، إذ المعنى هو الذي يثبت الحياة وأسباب بقائها واستدامتها في الأعمال الأدبية كافة، وبالأخص الأعمال الأدبية الخالدة (الحمراوي، 2017، الصفحة 363).

ولدينا على سبيل المثال جمهورية أفلاطون، فأنا نلاحظ إن أفلاطون قد أستوعب كل الموم والمشاكل والأفكار بفلسفته المتعمقة وصاغ حواراته بأسلوب أدبي، زاد في توهج ورقي نتاجه الفكري، اذ حوى نسقه الفلسفي مجالات معرفية عدة من الحياة العامة، فضمت بين دفتيها الرياضيات، والأدب، والأخلاق والفن، والطبيعة، والأنسان، والمجتمع فضلاً عن السياسة! (خباز، جمهورية أفلاطون، 1983).

والأمثلة التي تثبت أن كل أدب حقيقي هو في حاجة بهذا القدر أو ذاك إلى الفلسفة (الركوي، 2017)، مثل قصة الفيلسوف ابن طفيل المعنونة بـ حي بن يقظان وهي قصة فلسفية (الركوي، 2017)، فكل الآداب العظيمة التي تمكنت من البقاء عبر الأجيال، إنما استطاعت ذلك لأنها أساساً أدب فلسفي (الركوي، 2017)

ويرى زكريا إبراهيم إن الباحثين قد أهتموا بطائفة الفلاسفة وطائفة الأدباء، ولكنهم لم يهتموا بطائفة الأدباء الفلاسفة أو الفلاسفة الأدباء! والتي يعتقد أنها قد جمعت بين الموقفين: لأننا لا نستطيع أن نقول عن أهلها أنهم أدباء بالجوهر وفلاسفة بالعرض، كما أننا لا نستطيع أن نقول عنهم أنهم فلاسفة بالجوهر وأدباء بالعرض بل هم فلاسفة بالجوهر وأدباء بالجوهر أيضاً (إبراهيم، الصفحة 3).

من المعروف ان الأقوال والأمثال التي تدخل في مجال الحكمة تعد إرهابات للتفكير الفلسفي ونظراً لطبيعتها الإنسانية والأخلاقية فهي محط اهتمام وفضول سواء من قبل الأدباء والفلاسفة وحتى من قبل ممن يقف بحذر أو أنكار من الفلسفة، لأنها متأنية من تجربة ذاتية، وعن طول تأمل وتبصر بأمور الحياة، فإذا حكمة جاهلية [الفترة قبل ظهور الإسلام] مثلاً نجدها تصلح لكل العصور، كذلك إذا تأملنا حكمة أجنبية نجدها تنطبق على كل المجتمعات ذلك لأن الهدف منها إنساني يضرب الأمثال وينبه الإنسان وينير له طريقه ويدله على ما فيه صلاح نفسه (سراج الدين، الصفحات 5-6).

لم يكن ان التوحيد متفرداً بهذا الاتجاه، فقد سبقه عدد من أدباء القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين، فعلى سبيل المثال فإن الأديب والكاتب أبو محمد عبد الله بن المقفع المتوفى سنة 142هـ / 759م (الجهشياري، 1938، الصفحات 103 - 110، ابن النديم، 2010، الصفحة 189، ابن خلكان، 1998، ج 2، الصفحة 128،

الشريف المرتضى، 1429هـ، ج 1، الصفحات 151 – 153) يعد من أول الأدباء الذين دمجوا الثقافة الفلسفية اليونانية بثقافة الأدب العربي فقد ترجم من اللغة الفارسية إلى العربية عبارة سهلة قريبة المأخذ، ثلاثة من كتب أرسطو هي: المقولات (قاطيغورياس)، والعبارة (بارمينياس)، والقياس والربحان (أنطولوجيا الأولى والثانية) فضلاً عن كتاب مقدمة في المنطق بعنوان المدخل (إساغوجي) للفيلسوف فرموريوس الصوري (أبن صاعد الأندلسي، 1912، الصفحة 49).

كما وقد تأثر التوحيدي بمؤلفات عدد من الأدباء بعصره وأحب التشبه بهم (الحسن، 2011، الصفحة 87) مثل تأثره بالأديب الكبير الجاحظ المتوفى سنة 255 هـ / 868 م، الذي فاقت شهرته على كل أديب مفوه سبقه ولحقه في عصره والعصور التي تلتها، ولأنه كان من شيوخ المعتزلة (الخيون، 1997) فقد كان ضليعاً بالفلسفة والكلام، حيث أفاد من فلسفة اليونان وضمن معارفه منها في شتى مسائله ورسائله المتنوعة التي حوتها مؤلفاته الأدبية والتاريخية والاجتماعية والأخلاقية والعقلية والعلمية (بلات، 1961، الدهماني، 2021).

وصاحب كتاب المعارف أبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة 276 هـ / 889 م، والذي وصفه التوحيدي في كتابه المفقود تقريباً الجاحظ بقوله: إنه من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب له في كل فن ساق وقدم [نصيب وسهم من التأليف والمعرفة] (الحموي، م 1، ص 354). وكذا نجد إن أبن دريد المتوفى سنة 321 هـ / 933 م قد عقد فصلاً لأقوال الفلاسفة اليونانيين، في كتابه المجتئى عنوانه باب من نوادر كلام الفلاسفة (دار الفكر المعاصر عن دائرة المعارف العثمانية، 1962). أما الفيلسوف والعالم والأديب والفقهاء والجغرافي أبي زيد البلخي المتوفى سنة 322 هـ / 934 م، فقد لقبه الحموي بجاحظ خراسان (الحموي، م 1، الصفحة 354)، ووصف قيمة وفائدة نتاجه الفكري بقوله: ما رأي في الناس من جمع بين الحكمة والشرعية سواه (الحموي، م 1، الصفحة 354).

لقد ترك أبي زيد البلخي نتاجاً علمياً وفلسفياً غزيراً، وصل إلى ما يربو السبعين (70) مؤلفاً بسائر علوم عصره (الرياضيات والطب والفلك والهيئة والتنجيم والجغرافيا والاجتماع والأخلاق والدين) وقد وسمت صياغته الأدبية في مؤلفاته بأنها كانت غاية في الفصاحة (الحموي، م 1، ص 354) ولذا فقد أشار أبن النديم إليه في الفهرست بقوله: وكان فاضلاً في سائر العلوم القديمة، يسلك في تصنيفاته طريقة الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه وإليه أقرب (أبن النديم، الصفحة 469).

ويظهر تأثير الفلسفة اليونانية واضحاً عند الكاتب الديواني قدامة بن جعفر المتوفى على الأرجح سنة 337 هـ / 948 م، ذكره أبن النديم قائلاً: كان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ممن يشار إليه في علم المنطق (أبن النديم، الصفحة 188)، ولأنه كان نصرانياً قبل أن يسلم على يد الخليفة العباسي المكتفي بالله (289 – 295 هـ / 902 – 908 م)، فقد ساعدته معرفته باللغة السريانية بالاطلاع على الفلسفة اليونانية وعرف عنه ميله إلى المنطق (أبن النديم، الصفحة 188).

وبالمقابل فقد تأثر عدد من الأدباء بالتوحيدي فنقلوا عنه أقوال لفلاسفة أو علماء يونانيين، وأصبح نقل الأقوال عن الفلاسفة والعلماء اليونانيين تقليداً متبعاً عند الأدباء بالعصر العباسي، نذكر منهم الراغب الأصبهاني المتوفى سنة 502 هـ / 1108 م بكتابه محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ومحمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة 538 هـ / 1143 م، الذي أورد في كتابه ربيع الأبرار ونصوص الأخبار أقوال لفلاسفة اليونان نقلها من مؤلفات التوحيدي، وكذلك أتبع هذا التقليد كل من الأديب الكاتب أبن حمدون المتوفى سنة 562 هـ / 1167 م بكتابه المعنون التذكرة الحمدونية، وأسامة بن منقذ المتوفى سنة 584 هـ / 1188 م في كتابه لباب الآداب، وأبن هذيل الأندلسي المتوفى سنة 763 هـ / 1361 م بمؤلفه عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة.

ثانياً: أسباب تأثر التوحيدي بالفلسفة اليونانية

لقد ظهر انفتاح العقل العربي بشكل جلي على كل ألوان الثقافات العالمية، لعدم تعصبهم أو تزمتمهم وفي التراث الثقافي اليوناني كانت عناية العرب بالفلسفة الإغريقية (أدباً وسياسة) واضحة للعيان (بدوي، 1967، الصفحات 160 – 161)، لا سيما وأن الفلاسفة اليونانيين قد منحوا الفلسفة مكاناً مرموقاً في الحياة والسياسة، وهنا ينقل التوحيدي لنا بكتابه الإمتاع والمؤانسة رأياً عن الفيلسوف ديوجانيس في الفلسفة عندما سُئل: متى تطيب الدنيا؟! فكان رده: إذا تفلسف ملوكها وملك فلاسفتها (التوحيدي، 2007، الصفحة 222).

من الواضح جداً ان التوحيدي لم يكن يتعامل مع الفلسفة اليونانية بأنها ترفاً ثقافياً، بقدر ما هيه وسيلة وأداة تساهم في زيادة الوعي والتنوير بين أفراد المجتمع! عندما عبر عن رأيه بفلسفة اليونانيين التي سماها الحكمة بقوله في كتابه البصائر والذخائر فإن الحكمة ضالة المؤمن أين ما وجدها أخذها، وعند من رآها طلبها، والحكمة حق والحق لا ينسب إلى شيء، بل كل شيء ينسب إليه ولا يحمل على شيء، بل كل شيء يحمل إليه، ولا يحمل على شيء بل كل شيء يحمل عليه، وهو متفق من كل وجه، يطرب به الراضي ويقنع به الغضبان، مشرق في نفسه موثوق بحكمه، معمول بشرطه، معدول إلى قضيته، به خلق الله عز وجل السماء والأرض، وعليه أقام الخلق، وبه قبض وبسط وحكم وأقسط (التوحيدي، 1999 الصفحات 6 – 7).

إن من أهم ما تميزت به الحضارة الإسلامية هو التسامح وذلك ما أشار إليه المستشرق آدم متر بقوله: لم يكن معروفاً في أوروبا في العصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان أي دراسة الملل والنحل على اختلافها والأقبال على هذا العلم بشغف عظيم (أبو ريده، 1957، م 1، الصفحة 57).

ولا ريب إن القيم الإنسانية النبيلة التي زهت بها أقوال فلاسفة اليونان كانت من أهم الأسباب التي جذبت التوحيدي إليها، فعلى سبيل المثال ينقل لنا التوحيدي صدق لهجتهم في فلسفة القيم والمبادئ فعن الفيلسوف ديوجانيوس ينقل قوله عندما سأله أحدهم: أملك الروم أفضل أم ملك الفرس؟ فرد قائلاً: الأفضل من كان أملك لهواه (حمود، الحوزة hawzah.net) وفي موضع آخر ينقل لنا الخلق الرفيع للقائد الإسكندر المقدوني الذي كان تلميذ أرسطو وقد غاير أخلاق الحروب المعهودة، عندما رفض مهاجمة أعداؤه ليلاً مبيناً سبب ذلك بقوله: إنه ليس من عادة الملك سرقة النصر (حمود، الحوزة hawzah.net).

وكذلك هناك تأثير آخر على الثقافة العربية وهي في تأثير الحاكم على الرعية، نظراً لأن الناس على دين ملوكهم، والرواية تشير إلى إن خليفة المسلمين المأمون الذي شغف بالاطلاع على العلوم العقلية والفكرية لفلاسفة اليونان، قد طلب شخصياً من إمبراطور الروم أن يرسل له مجموعة من كتب الفلاسفة والعلماء اليونان القديمة (أبن صاعد الأندلسي، 1912، الصفحة 48)، ولا شك ان اهتمام الخليفة هذا أثر على أذواق الرعية لأن الفضول دفعهم للاطلاع على التراث الفلسفي والعلمي والفكري لهؤلاء الفلاسفة والعلماء.

وصف ياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ/ 1228م التوحيدي بمقولة أشتهر بها على مر الزمان! عندما قال عنه إنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة (الحموي، مجلد 4، الصفحة 288) فقد كان التوحيدي موسوعي يعنى بالمعاني والأفكار والتساؤلات ذات المغزى الفلسفي أدت إلى نشوء علاقة وثيقة لديه بالفكر والقضايا الفلسفية اليونانية، فهو فيلسوف السؤال يعيش الجدل لا يكف عن إثارة السؤال تلو السؤال، واستخلاص الأسئلة عن كل ما يقع أمامه من ظواهر اجتماعية أو لغوية أو اقتصادية أو نفسية، فحبه لهذا الميدان جاء عن إطلاع وإحاطة واهتمام وليس من صلة عارضة.

أبحه التوحيدي نحو الثقافة الفلسفية اليونانية التي أعطته زاداً منوعاً أضافه إلى خزينه المعرفي اذ طعم كتاباته الأدبية بأقوال فلاسفة اليونان وأن كانت نسبتها ضئيلة مقارنة بكمية مادته المنوعة الأخرى كما لوحظ إن معرفة التوحيدي للفلسفة اليونانية لم تكن سطحية، فهو لم يتخبط فيها خبط عشواء إذ كان وثيق الصلة بفكرها وقضاياها، فجنوحه لها كان عن علم وإحاطة واهتمام

وحبه العقلاني للفلسفة كان وجودياً كأديب وإنسان، ويبدو أنه وجد فيها ملاذاً للتعبير عما يخالج فكره وما يعتل في نفسه وما يعاني منه في حياته، مجارياً فيها روحية عصره.

كان التوحيدي أديباً يعبر بإحساسه عن المعاني، ثم يعود ليكسبها مسحة عقلية، ويمنحها نظرة فلسفية، وقد كان تأثره بالفلسفة اليونانية أمر ملحوظاً طغى على كل مؤلفاته، الأمر الذي يكشف تعاطيه للفلسفة اليونانية وموسوعية معارفه وشموليته، فإن كانت كتاباته غير منظمة وتفتقر للتنسيق لكنها ذات طابع شمولي ما بين جد وهزل وموعظة وشعر ونثر وحكم وأمثال ولغة ونحو ومنطق وفقه وعادات وتقاليد ومظاهر اجتماعية وقضايا فكرية ومسائل إنسانية ومناظرات وحوارات لأسئلة وأجوبة، وتنم عن عقلية متفتحة على المعطيات الثقافية للأمم الأخرى!

وعندما وضع التوحيدي يده على مواطن النفع في الفلسفة اليونانية، كان مثالا للأمانة في النقل هذا من جهة، ومن جهة أخرى عمل على نشر ثقافة الفلسفة اليونانية، بصفحات من كتبه التي باتت تراثاً أدبياً عربياً إسلامياً، وفي هذا التراث نستطيع تلمس غاية وهدف أبي حيان التوحيدي من الفلسفة اليونانية إلا وهو البحث عن النموذج الجيد في السلوك ونقاء النفس (حمود، الحوزة *hawzah.net*).

عند تتبع ما أورده التوحيدي من أقوال الفلاسفة اليونانيين لاسيما في مؤلفاته الثلاثة الإمتاع والمؤانسة والبصائر والذخائر والصدقة والصدق، نستطيع أن نصف ثلاثة أقسام في نسبتها لهؤلاء الفلاسفة وهي:

1- مشاهير فلاسفة اليونان وعلمائهم، الذين كانوا من أعلام الفلسفة اليونانية المعروفين عند الكتاب والعلماء والفلاسفة المسلمين في العصر العباسي، مثل فيثاغورس وديو جانوس وسقراط وأفلاطون وأرسطو.

2- فلاسفة وعلماء وأدباء فلاسفة كانوا أقل شهرة من فلاسفة المجموعة الأولى مثل: زينون أبقرات جالينوس بطليموس، هوميروس، أسطفانيوس، غالوس، منقاريوس، زيموس أسقليبيوس طيمانانوس، اومبروس، أنكساغورس، سموانيدرس، الأسكندر المقدوني.

3- فلاسفة لم يشر التوحيدي لأسمائهم وهم أكثر بالعدد من المجموعتين الأولى والثانية وأكتفى بنعتهم بالفلاسفة! وفيما يأتي محاولة تشخيص لعدد من الأسباب التي نعتقد أنها وراء تأثر بالفلسفة اليونانية وحبه لأقوال وأحاديث فلاسفتها، وبثها في كتبه:

أ- الأسباب النفسية:

كل البشر يسعون وراء السعادة! والتوحيدي واحد منهم فقد عاش حياته برمتها يبحث عن السعادة التي حرم منها ولم يشعر بها يوماً بحسب ظنه، ومع إنه عاش رداً من الزمن يتنقل بين أوساط أصحاب القصور، لكن خيبات الأمل والفقر الذين عاشهما التوحيدي حرمتهم من التمتع بإنجازاته الأدبية، فقد يكون قرر الانشغال بتهذيب روحه، وبلغ به اليأس والتشاؤم والقنوط إلى أن يتحول إلى الزهد والورع المتمثل بالنمط الصوفي، والتقرب من خالقه، والزهد بمطامع الدنيا.

وما ذاك إلا لإحساسه بالغرابة فقد عاش التوحيدي حياة موحشة، ومضطربة، حملت من النكسات والويلات وقاست نفسه مرارة الناس ودنيا الناس ما جعله يشعر بالنبذ والانكسار، ونجد أن الملمح الوجودي الأول لحاله هو شعور الغربة الذي ألم به واستحكم، فما استطاع منه فراراً ولم يجد له فكاكاً!

لقد أفضى البحث عن السعادة عند التوحيدي ان يشغل نفسه بموضوعات ذات طابع فلسفي لتشخيص دواخل النفس البشرية بطبيعتها وأسرارها ومجاهلها وتعريضها للتأمل الفلسفي، مثل مؤلفه رسالة الحياة، فقد سرد فيها التوحيدي مختارات من اقاويل فلاسفة اليونان في الحياة والموت وما بعد الموت، ومنهم ديموقريطس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وغيرهم، ثم يعقب على

كلامهم بتعليقات مقتبسة من أبي سليمان المنطقي، وأبي زكريا الصيمري وعيسى بن زرعة وأبي الخير الخمار وغيرهم (ابراهيم، الصفحة 125).

قدم التوحيدي لنا في كتابه أخلاق الوزيرين صاحب بن عباد وأبن العميد صورة مشرقة لفلاسفة اليونان وكيف كان الأدباء في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي يحاولون تمثلها والافتداء بها لا سيما بالجانب الأخلاقي بقوله بأن القوم قد تكلموا في الأخلاق وحددوها وأوضحوا خفاياها، وميزوا رذائلها وبينوا فضائلها وحثوا على التخلق باليسير من خطامها، وبذل الفضول للمحتاجين إليه، وتحصيل السعادة العظمى برفض الشهوات القليلة والكثيرة منها والإحسان إلى الناس وغير الناس بغير امتنان ولا اعتداء ولا طلب جزاء ولا استحمام (التوحيدي، 1997، الصفحة 187).

وما فتأ التوحيدي يذكر شدة تأكيد الفلاسفة اليونانيين على مسألة الأخلاق، ويدعو لمن أطلع على فلسفتهم وأحبها ان يلتزم بها، لما قد رأى فيها مثالية أخلاقية مشابهة للمثاليات التي حملتها ونادت بها الشريعة الإسلامية، فيقول عنها: كأن الفلسفة إنما تكون بالدعوى باللسان، من غير عمل ومعاناة ورياضة، وقمع للشهوة إذا غلبت، وردع للنفس إذا طغت، واستصلاح للأمر بالعدل المؤثر فيها وطلب السعادة والفوز في العاقبة على ما رسمه علماءها وحققه حكماءها (التوحيدي، 1997، الصفحة 237).

ولذا نجد التوحيدي على سبيل المثال ينتقد ويذم وزير ركن الدولة البويهى (320 – 366هـ / 932 – 976م) الكاتب أبن العميد المتوفى على الأرجح سنة 366هـ / 987م، والذي لقب بالجاحظ الثاني فرغم توسع معرفة أبن العميد بالفلسفة والنجوم وقيادة الجيوش، إلا ان التوحيدي ألقى عليه الحجة لأنه باعتقاد التوحيدي قد خالف أخلاق فلاسفة اليونان وكرم نفوسهم مع انه يدعي حكمتهم، فأقصاه التوحيدي من صنف الفلاسفة مخاطباً إياه في كتابه أخلاق الوزيرين بقوله: تزعم إنك من شيعة أفلاطون وسقراط وأرسطو طاليس، أو كان هؤلاء يضعون الدرهم على الدرهم أو أشاروا في كتبهم بالجمع والمنع ومطالبة الضعيف والأرملة بالعسف والظلم، فيا مسكين أستح فإنك لا مع الشريعة ولا مع الفلسفة وقد خسرت الدنيا والآخرة (التوحيدي، 1997، الصفحة 166).

لقد أظهر التوحيدي إعجابه وشغفه بالفلسفة وأقوال ومسائل الفلاسفة والعلماء اليونانيين فكان يدافع عن فهمهم الأخلاقي والعقلاني بالالتزام به، فعلى سبيل المثال قد ذم أبن زُرعة الذي كان هو الآخر معجباً بالثقافة اليونانية، فذكر يوماً فلاسفتها في مجلس الشراب، فما كان من التوحيدي إلا أن نقده ورأى أنه أزرى بهؤلاء الفلاسفة! ذلك ان التوحيدي أراد أن يؤكد من جانبه كمسلم ملتزم بتعاليم الشريعة: إن العالم الحقيقي من يستطيع أن يجمع مكارم الأخلاق إلى جانب المعرفة (حمود، الحوزةhawzah.net).

إذن لا نستبعد أن يكون التوحيدي قد وجد في الفلسفة اليونانية متنفساً نفسياً وأخلاقياً يخفف عنه ما كان يعانيه من ضغوط بسبب ظروفه الحياتية والمعاشية! (أبراهيم، الصفحات 10 – 11) فكان له ان يعبر عن ذاته بوجهات نظر فلسفية، الأمر الذي أدى به إلى أن يخوض في مواضيع فلسفية جدلية عديدة ويحاول التعمق بها وتمخض الأمر عنه استنباط مجموعة من الأسئلة وجهها لصديقه المتفلسف أبن مسكويه المتوفى سنة 421 هـ / 1030م، بمواضيع توزعت بين النوازع والأمزجة البشرية وبين الحالات النفسية المضطربة ما غمض منها عامة وما أشكل عنده خاصة، وضمت هذه الأسئلة وعددها مئة وخمسة وسبعين (175) سؤالاً مع إجاباتها كمجموعة رسائل في كتاب واحد بعنوان الهوامل والشوامل، وقد حوى الكتاب الكثير من آثار وتراث الفلاسفة اليونان، وكان أول كتاب مشترك بين اثنين من المؤلفين، مع العلم ان للتوحيدي عناوين كتبه ومؤلفات فلسفية نذكر منها: المقابسات، كتاب الاقناع، الإشارات الإلهية المحاضرات والمناظرات الحج العقلي اذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي،

رياض العارفين، رسالة في ضلالات الفقهاء في المناظرة رسالة في أخبار الصوفية، التذكرة التوحيدية، رسالة الحياة رسالة بيان ثمرات العلوم، رسالة الامامة أو رواية السقيفة.

ب- الفضول المعرفي:

كانت الفلسفة اليونانية عند التوحيدي طريقاً للبحث عن الحقيقة الموضوعية في الحياة، فلا نستبعد نظراً لذهنيته المتفتحة ان تعثره الدهشة (الفضول العلمي) فتلح على فكره بالأسئلة الكثيرة والشك وهو ما عكسته مواضيعه المشوقة، ويبدو انه قد تأثر بأسلوب سقراط (الحوار السقراطي)، باستنباط الكثير من الأسئلة من كل ما يقع امامه وما يتصوره من مشاكل الحياة فشغل بها وقته وكتبه بها ورسائله لعله يعثر على اجوبة تقربه من الحل (العربي، 2014، الجزائر، الصفحة 18).

وأثر اهتمام التوحيدي وحرصه على إتقان ما ينسخ (والنسخ كانت مهنته) بغير تصحيف وتحريف في سلامة لغته وارتقاء أسلوبه بقوله مع صحة نقلي وتقييد خطي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف (الحموي، المجلد 4، الصفحة 292)، أن يحتفظ بنسبة القول إلى صاحبه، وتقبل الآراء المختلفة والأفكار المتباينة والمعارف المتنوعة فيها بسعة صدر ورحابة ذهن كما أن دكاكين الوراقة ببغداد كانت محلات تعود العلماء وطلبة العلم على ارتيادها والتناظر والمجادلة في مجالسها، وكان التوحيدي يشهد هذه المناظرات ويدونها.

ولهذا نلاحظ الموسوعية والتنوع والتلون بالمعارف لدى الأدباء فضلاً عن العلماء، فعلى سبيل المثال حوى كتاب التوحيدي البصائر والذخائر من المعارف الأدبية والنوادر والفكاهة والتاريخ والتصوف، فضلاً عن الكثير من الأحاديث العلمية والمسائل والأقوال من الفلسفة اليونانية جمعها التوحيدي وحشدها على مدى خمسة عشر (15) سنة مما سمع وقرأ. وقد عكس كل ذلك بقوله يصف كتابه البصائر والذخائر قائلاً: حوى من الذهن لواقحه، ومن العقل قرائحه ومن الأخلاق محاسنها، ومن العلم غنائمه، ومن الفهم نتائجها، ومن الصدر ذخائره، ومن الدهر سرائره ومن الأدب أرواحه، ومن البال خواطره، ومن الروية جواهرها، ومن الحكمة حقائقها، ومن التجربة أعيانها، ومن الأمم ودائعها، ومن الحنكة فرائدها، ومن الأخلاق محاسنها، ومن العرب ببايها ومن الفرس سياستها ومن اليونان دقائقها، ومن الشريعة رقائقها (التوحيدي، المجلد 3، الصفحات 12 - 13).

ولذلك فإن القيمة العلمية والمعرفية لهذا الكتاب البصائر والذخائر عديدة يحصيها التوحيدي بقوله: فهو أذن للكليل شحذ، وللوسنان يقظة، وللعقل سمة وللغي بلاغة، وللأخرس ترجمان وللناسي تذكرة وللغير تجربة وللأديب عدة، وللعالم عمدة، وللخامل نباهة وللناسك بصيرة وللعاقل نصيحة جمعت فيه كل غرة لائحة، وحجة واضحة، وبرهان مبين، وقول متين، ونادرة ملهية، وموعظة مبكية، وللرفع فيه مرتع وللمتوسط إليه مفرج، وللدني به مقمع وأفنيت في ذلك وأطنبت، وصعدت فيه وصوبت (التوحيدي، المجلد 3، الصفحات 12 - 13).

ورغم سوء الطالع وكثرة التشكي اللذين وسما حياة التوحيدي، إلا انه أتصف بالنباهة والتدقيق ورجاحة العقل التي كانت السبب في حبه للتنوع المعرفي والأخذ من كل علم بطرف، فعني بمسائل المنطق ومواضيع الفلسفة والعلوم والمعارف (المعلوماتية)، ولم يشذ عن غيره من علماء عصره بنزعتة الموسوعية التي تبدو عنده واضحة وجليه.

ومع أن مهنة النسخ لم تدر عليه المال الكثير! حتى أنه سماها بـ حرفة الشؤم (الحموي، المجلد 4، الصفحة 300)، لكنها أفادته في التطبع بعدة أمور منها:

- 1- طبعته على تقبل الآراء المختلفة والأفكار المتباينة.
- 2- أعكس اهتمامه وحرصه على إتقان النسخ بغير تصحيف ولا تحريف، على خاصيته في الحفاظ على نسبة الأقوال لأصحابها والدقة في إيرادها.
- 3- ساعدته على التفرغ للفلسفة والتمتع في أقوال الفلاسفة اليونانيين، وبيان سلوكياتهم ومدى التزامهم بثوابهم الأخلاقية.

ج- البيئة المحيطة:

من الواضح ان الأديب العربي في العصر العباسي، قد ألغى كل الفوارق العرقية والدينية وأنفتح على ثقافات كل الشعوب، لكن هذا الانفتاح لم يقلل من أصالة وقيمة إنتاجه الخاص به، وهو ما بينه إحسان عباس بقوله: أن القول بتقبل الأدب العربي لمؤثرات أجنبية، ليس انتقاصاً من أصالته أو استهانة بعناصر تلك الأصالة (عباس، 1993، الصفحة 9).

لقد سادت بيئة التوحيديتي التيارات العقلية والفكرية والبحث والجدال، تلك الاجواء التي رافقت فلاسفة العصر العباسي، فعاصر الحياة العلمية النشطة والحركات الفكرية والعقلية، التي ظهر أثرها في مؤلفاته ورسائله. وكانت الثقافة الأجنبية ذات تأثير منشط في كافة المجالات الثقافية والعلمية (نافعة، 1989، الجزء 2، الصفحة 7).

ففي القرون الإسلامية الأولى نجد الحكمة في كتب الأدب، وقد امتلأت بها، وهي ذات محتوى فلسفي شعبي، وكانت أقوال الحكماء القدماء الإغريق تؤلف قطاعاً دُرس بعناية، وكان له تأثير واسع ويعتبر من قطاعات أدب التسلية والإمتاع، الذي كان في الوقت ذاته أدباً تعليمياً وتحذيبياً (عباس، 1993، الصفحة 33)، ولذلك نلاحظ الاهتمام المتزايد بأدب الحكمة اليوناني، وكان قسم كبير من هذا الأدب قد ترجم في فترة مبكرة وكان أدباء هذا العصر يعيدوا إبرازه (عباس، 1993، الصفحة 33).

وكان لكبار علماء ومفكري وفلاسفة القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فضل في تلمذة التوحيديتي بالفلسفة اليونانية على يديهم (أبن أبي أصيبعة، 1996، الجزء 1، الصفحات 211-212) ونقله للترجمات سواء كانت من المسلمين أو النصارى أو السريان (عبود، 2012، الصفحة 40) ولعل ابو سليمان محمد بن بمرام السجستاني (الصفدي، 1974، الجزء 3، الصفحات 165-166) يعد من أبرز أستاذته في الفلسفة والمنطق، ويأتي بعده أبو زكريا يحيى بن عدي النصارى المتوفى سنة 346هـ / 957م كما ذكروا في المقابسات (التوحيدي، 2011، الصفحة 156)، والأثنين من تلامذة الفيلسوف الكبير الفارابي المتوفى سنة 339هـ / 950م (حمود، الحوزة *hawzah.net*) كما قد تأثر بعدد آخر منهم الفيلسوف أبو الخير الحسن بن سوار بن الخمار المتوفى 332هـ / 943م الطبيب والمترجم النصارى، والفيلسوف والمترجم والمنطقي أبو بشر متي بن يونس القنائي النصارى النسطوري والمتوفى سنة 338هـ / 949م، والفيلسوف المعتزلي أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني صاحب اللغة والنحو والفقه والفلك والتفسير والمتوفى سنة 384هـ / 994م والفيلسوف المنطقي والمترجم أبو علي عيسى بن أسحاق بن زرعة المتوفى سنة 448هـ / 1056م كما وجد التوحيدي بصديقه المتوافق معه فكراً أبو مسكويه ضالته في إثارة أسئلته، حتى ان أثقل عليه خاطبه أبو مسكويه رداً على إحدى رسائله التي أوردها التوحيدي في كتابه الهوامل والشوامل اذ قال له: أرفق بنا يا أبا حيان - رفق الله بك - وأرخ من خناقنا وأسغنا ريقنا، ودعنا وما نعرفه في أنفسنا من النقص فإنه عظيم، وما بلينا به من الشكوك فإنه كثير ولا تبكتنا بجهل ما علمناه وفوت ما أدركناه. (التوحيدي، 2017، الصفحة 27).

ثالثاً: الفلسفة اليونانية في مؤلفات التوحيدي

مما لا شك فيه إن الاتصال بين الثقافة العربية واليونانية كان قد بدأ بأولى حلقاته في العصر العباسي (أبو شهاب، 2008، العدد 18، الصفحة 1)، وفي محاولة لتتبع الأثر الفلسفي اليوناني في المؤلفات الأدبية للتوحيدي، الذي كان يعشق المعاني والألفاظ، ففي كتابه الإمتاع والمؤانسة يقول: لا تعشق اللفظ دون المعنى، ولا تحوى المعنى دون اللفظ (التوحيدي، 2007، الصفحة 18)، فكان من الطبيعي ان ينجذب نحو أقوال الفلاسفة والعلماء، وقد لوحظ أنه وبفضل ترجمات عصره قد تشرب بالفلسفة اليونانية وحكمتها، لم يخفي انجذابه نحوها.

كان إنشاء علاقات إنسانية متوازنة (حمود، الحوزة *hawzah.net*) من أهم شواغل التوحيدي الفلسفية في كتبه ومؤلفاته الصداقة والصديق والهوامل والشوامل، وكان عنصر التشويق في كتاباته وحرصه على تضمينها أقوال الفلاسفة اليونان قد أفرزت بسبب: ظهور شخصية المؤلف فيها بصورة واضحة بالإضافة إلى طبيعة المشاكل الخاصة التي تناولتها هذه الكتابات (نافعة، الكويت، الجزء الثاني، الصفحة 10).

لقد وصف آدم مِتر التوحيدي بأنه أعظم كتاب النثر العربي على الإطلاق! ومع ان كتاباته كانت غير منظمة ولا منسقة ولكنها امتازت بالموسوعية والتنوع المعرفي اذ حوت الشعر والنثر والحكم والأمثال بطابع وأسلوب السؤال والجواب والجد والهزل والنصيحة والموعظة، كما طغى حبه للفلسفة والتفلسف باستخدامه الألفاظ والتراكيب والاصطلاحات الفلسفية والمنطقية اليونانية وأقوال لفلاسفة وعلماء وأدباء اليونان حتى أنه أود حكم لهوميروس (صاحب الإلياذة والأوديسة من القرن الثامن قبل الميلاد).

فعلى سبيل المثال وردت في الليلة الثانية (2) والليلة السابعة عشر (17) من ليالي كتابه الإمتاع والمؤانسة الأربعون (40) ليلة، أسماء عشرات الفلاسفة والعلماء اليونانيين أورد آرائهم وأقوالهم فيما عرض من مواضيع وعقد جلسة خاصة للفلسفة (التوحيدي، 2007، الصفحات 35 – 45).

كما ذكر التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة أخوان الصفا لأول مرة! ولم يكن قد ذكرهم أحد قبل التوحيدي ويبدو أنه كان متأثراً بفلسفتهم. ولم يفوت في خضم استغراقه بموضوعاته ان يرد على بعض المسائل والاعتقادات لإخوان الصفا لا سيما بمسألة التوافق بين الدين الإسلامي والفلسفة اليونانية، وهي مسألة قديمة عالجها فلاسفة اليونان كأفلاطون (429 – 347 ق. م) وأفلوطين (205 – 270 م) ورغم دفاع التوحيدي عن الفلسفة اليونانية لكنه رفض فكرة الوحدة غير المنطقية مع الشريعة الإسلامية، كما حاول أخوان الصفا تصوير ذلك بأقوالهم ومنها: الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية (التوحيدي، 2007، الصفحة 201).

ويشير التوحيدي إلى أن أخوان الصفا قد ذهبوا بعيداً بقولهم أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال (التوحيدي، 2007، الصفحة 211)، وكان من أبرز ردود التوحيدي على أقوال أخوان الصفا قوله نقلاً عن استاذة أبا سليمان السيرافي: الفلسفة حق لكنها ليست من الشريعة في شيء، وإن الشريعة حق ولكنها ليست من الفلسفة في شيء، وصاحب الشريعة مبعوث، وصاحب الفلسفة مبعوث إليه وأحدهما مخصوص بالوحي، والآخر مخصوص ببحثه، والأول مكفي والثاني كادح (التوحيدي، 2007، الصفحة 212).

يمضي التوحيدي بمقالة طويلة برده على مسألة أخوان الصفا في التوفيق بين الدين والفلسفة فالتوحيدي ينفي أن يكون أحدهما مأخوذ من الآخر، فيمكن أن يجتمع الاثنين الشريعة والفلسفة في شخص واحد، فهذا بالدين متقرباً من الله، وهذا بالحكمة متصفحاً قدرة الله (التوحيدي، 2007، الصفحة 212).

ويستند التوحيدي في ردوده على أخوان الصفا بآراء أستاذه أبي سليمان كقوله: من اراد أن يتفلسف فيجب عليه أن يعرض بنظره عن الديانات، ومن أختار التدين فيجب عليه أن يعرد بعنايته عن الفلسفة ويتحلى بهما مفترقين في مكانين على حالين مختلفين، ويكون بالدين متقرباً إلى الله تعالى، على ما أوضحه له صاحب الشريعة عن الله تعالى، ويكون بالحكمة متصفحاً لقدرة الله تعالى في هذا العالم الجامع للزينة الباهرة لكل عين، الحيرة لكل عقل ولا يهدم أحدهما بالآخر (التوحيدي، 2007، الصفحة 212).

لم يكن التوحيدي فيلسوفاً محضاً، ولم يكن صاحب نظرية في الفلسفة، لكنه عبر عن الأفكار الفلسفية المستسقة من الكتب اليونانية المترجمة للغة العربية بقلب أدبي مبدع، فقد لخص الأفكار الفلسفية هذه في كتابه المقابسات (التوحيدي، 2011)، الذي حوى على مئة وستة (106) مقابلة هي عبارة عن حوارات ومناظرات في مواضيع الفلسفة (الأخلاق والنفس

والطبيعة والإلهيات) ناقشت بأسلوب أدبي قضايا فلسفية حتى إن البعض من الباحثين أعتبره كتابات أدبية بنكهة فلسفية ساهمت بتقريب الفلسفة من عامة الناس (ياسين، 2008، مجلة ديوان العرب الإلكترونية، *diwanalarab.com*). وفي كتابه الإشارات الإلهية (التوحيدي، 1950) نجد التوحيدي يبيث ابتهالاته بأسلوبه الفلسفي الغد، مسجلاً في خضم ذلك العديد من الحوارات الفكرية والفلسفية.

رأى التوحيدي إن التباين أو الفرق بين الأدب العربي والفلسفة اليونانية لا يلغي إمكانية تعاونهما وإن النحو يزين المنطق لأنه ترتيب الألفاظ، فيما يرتب المنطق المعاني، وقد أكد التوحيدي على التشابه بين النحو العربي والمنطق اليوناني، مع إن الأول شفاهي سمعي بديهي وحسي في حين ان الثاني دليل عقلي، وللتأكيد على ذلك فان التوحيدي نقل مناظرة في النحو ومنطق الفلسفة اليونانية سنة 326 هـ / 937م، تمت بين النحوي أبو سعيد السيرافي أستاذ التوحيدي وبين صاحب المنطق أبو بشر متي بن يونس القناني المنطقي في مجلس أبي الفتح ابن الفرات (الحموي، المجلد 2، الصفحة 528)

لقد بدت نزعة التوحيدي الفلسفية وتأثره بالفلسفة اليونانية وشغفه بها واضحة وبشكل جلي في كتابه الإمتاع والمؤانسة، حيث مزج مادته الأدبية بمادة من الفلسفة اليونانية، تماماً كما مزج الجد بالهزل في كتابه الإمتاع والمؤانسة لثلا يمل القارئ (أبراهيم، 1974، الصفحة 97). اذ أورد فيه الكثير من المسائل الفلسفية والمنطقية، صائغاً إياها بأسلوبه الأدبي البالغ الجمال، الذي يدل على طبيعة تفكيره التنويري المتحرر وإنتاجه الأدبي المبهر، بعد أن خلصها من القيود الوثنية وأحكامها القطعية، مقتصراً على مناهجها الاستدلالية العقلية.

ولا ريب ان بداية تعرف التوحيدي على الفلسفة اليونانية في المرحلة الأولى تتبين من خلال عدم تحديد أصحاب بعض أقوال الفلاسفة اليونانيين واكتفائه بالقول: قال فيلسوف كما في كتابيه البصائر والذخائر والإمتاع والمؤانسة.

أن العنصر التنويري في كتابات التوحيدي يظهر للعيان من جراء تعلقه بالفلسفة اليونانية وفهمه لوظيفة الفلسفة اليونانية وإيمانه بأهميتها فهي لم تكن سطحية ولا هامشية، ولم يتخبط في الإتيان لأقوال فيثاغورس وأنكساغوراس ودوجانيوس وسقراط وافلاطون وارسطو.

ولذلك نجده لا يألو جهداً في الدفاع عنها والرد على من لم يفهم مقاصده منها وأول كلامه عنها، كما جاء في رسالته البيان في ثمرات العلوم بقوله: والذي حاجني لهذه الشكوى وأحوجني إلى هذه الدعوى، قول من قال منكم: ليس للمنطق مدخل في الفقه ولا للفلسفة اتصال بالدين ولا للحكمة تأثير في الحكماء، وهذا كلام من لو أنعم النظر، وأستقصى الحال لوقف على ما عليه فيه، وعرف ما له منه فكان يستبدل بالخلاف وفاقاً وبالمنازعة خلافاً، عاب هذا الرجل المنطق، وهجن طريقة الأوائل، وزرى على الحكمة، وقيل رأي الناظر فيها، وقبح اختيار الباحث عنها، وهذا كله ان لم يكن قلة سوء تحصيل فإنه يوشك أن يكون ضيق عطن، وجرح صدر ومجازفة في القول وانحرافاً عن الصواب (التوحيدي، 1884، الصفحة 201).

كما أورد التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة مناظرة في سمة الفكر اليوناني وقيمتة بخدمة الإنسانية ما بين كل من أبي بشر متي بن يونس وأبي سعيد السيرافي النحوي! منها قول متي بن يونس إنهم: من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه، وعن كل ما يتصل به ويتفصل عنه وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وانتشر ما أنتشر وفشا ما فشا ونشأ ما نشأ من أنواع العلم وأصناف الصنائع، ولم نجد هذا لغيرهم (التوحيدي، 2007، الصفحات 102-103)! فإرد عليه أبي سعيد السيرافي بقوله: أخطأت وتعصبت وملت مع الهوى، فإن علم العالم مبثوث في العالم بين جميع من في العالم، بل كانوا كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء، ويعلمون أشياء ويجهلون أشياء ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور، ويحسنون في أحوال ويسئنون في أحوال، وليس واضع المنطق يونان بأسرها، إنما هو رجل منهم وقد أخذ عمن قبله، كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجمع الغفير (التوحيدي، 2007، الصفحات 102-103)!

الخاتمة:

كانت الفلسفة والعلوم من بين أهم الروابط التي قاربت بين الثقافة الإسلامية التي باتت ثقافة عالمية في العصور الوسطى الإسلامية وبين الثقافة اليونانية. وكانت روحية التسامح مع الرأي الآخر التي شاعت بفضل المسلمين، من أهم العوامل التي دفعت التوحيدي لأن يكون منفتحاً على الحضارة اليونانية فضلاً عن شغفه بما تركه فلاسفتها وعلمائها من تراث ملا بما مؤلفاته، لا سيما في جوانبها الإنسانية فيما يخص الأخلاق وسيطرت العقل على الهوى! ومعرفة طبيعة الغرائز البشرية.

لقد أبدع التوحيدي في التعبير عن أفكار فلاسفة اليونان في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وصارت كتبه سجلات لأقوالهم وأفكارهم التي نشرها، وامتزجت بالثقافة الإسلامية في العصر العباسي. ولم يكن الانفتاح على الفلسفة اليونانية عند التوحيدي بالخاصية الذاتية، بقدر ما كانت روحية مشتركة بين عدد من أدباء عصره، وقد أبدى التوحيدي إعجاباً شديداً بالفلسفة والفلاسفة اليونانيين، ودافع عنهم صدقاً وقيناً مبيناً مدى التوافق عندهم بين ما يدعون اليه بفلسفتهم وعلومهم بمنهجهم الأخلاقي والعقلاني، وبين ما كانوا ملتزمين به ويطبقونه بسلوكهم على أرض الواقع فعلاً وعملاً!

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- أبن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت 668 هـ / 1270 م). (1996). كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق عامر النجار. الطبعة 1. دار المعارف. القاهرة.
- أبن حمدون بماء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي البغدادي (ت 563 هـ / 1167 م). (1996). التذكرة الحمدونية. تحقيق إحسان عباس وبكر عباس. الطبعة 1. دار للطباعة والنشر. بيروت.
- أبن دريد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي الدوسي (ت 421 هـ / 933 م). (1962). الطبعة 2. دار الفكر المعاصر عن دائرة المعارف العثمانية.
- أبن النديم أبي الفرج محمد بن إسحاق (ت 380 هـ / 990 م). (2010). الفهرست. تحقيق يوسف علي الطويل. الطبعة 3، دار الكتب العلمية. بيروت.
- أبن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي (ت 681 هـ / 1282 م). (1998). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل. الطبعة 1. دار الكتب العلمية. بيروت.
- أفلاطون. (1983). جمهورية أفلاطون. ترجمة حنا خباز. الطبعة 1. مكتبة النهضة للطباعة والنشر والتوزيع. بغداد.
- أسامة بن منقذ أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكتاني الكلبي الشيزري (ت 584 هـ / 1188 م). (1987). لباب الآداب. تحقيق أحمد محمد شاكر. منشورات مكتبة السنة. الدار السلفية لنشر العلم. القاهرة.
- أبن هذيل الأندلسي أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الفزاري الغرناطي (ت 763 هـ / 1361 م). عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة. الطبعة 2. دار الكتب العلمية. بيروت.
- التوحيدي أبي حيان علي بن محمد بن العباس (ت 414 هـ / 1023 م): (1950) الإشارات الإلهية. تحقيق عبد الرحمن بدوي. مطبعة جامعة فؤاد الأول. القاهرة.
- (2007). الإمتاع والمؤانسة. تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل واحمد رشدي شحاته عامر. الطبعة 1. دار الكتب العلمية. بيروت.
- (1999). البصائر والذخائر. تحقيق وداد القاضي. الطبعة 4. دار صادر. بيروت.
- (2011) المقابسات. تقديم ومراجعة وضبط عبد الأمير الأعسم. الطبعة 1. دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق.
- (2017). الهوامل والشوامل. مؤسسة هندواي سي آي سي.
- الجهشياري أبي عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي (ت 331 هـ / 943 م). (1938) الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي. الطبعة 1. مطبعة البابي الحلبي وأولاده. القاهرة.
- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت 502 هـ / 1108 م). (1902). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. تحقيق إبراهيم زيدان. مطبعة الهلال. مصر.
- الزحشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت 538 هـ / 1143 م). (1992). ربيع الأبرار ونصوص الأخيار. تحقيق عبد الأمير مهنا. الطبعة 1. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت.
- الصفدي صلاح الدين خليل بن أليك (ت 764 هـ / 1363 م). (1974). الوافي بالوفيات. تحقيق س. ديدرينغ، فرانز شتاينر. فيسنبادن.
- ياقوت الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626 هـ / 1228 م). (1991). معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. الطبعة 1. دار الزهراء. دار الكتب العلمية بيروت.

ثانياً: المراجع

- زكريا إبراهيم. أبو حيان التوحيدي. المؤسسة المصرية العامة. مطبعة مصر. القاهرة.
- محمود إبراهيم. (1974). كتاب أبو حيان التوحيدي في قضايا الإنسان. الطبعة 1، الدار المتحدة للنشر. بيروت.

- رامي أبو شهاب. (حزيران / 2008). الثقافة اليونانية وأثرها في الأدب العربي. مجلة الكلمة. العدد 18.
- عبد الرحمن بدوي. (1967). دور العرب في تكوين الفكر الأوربي. الطبعة 2. القاهرة.
- شارل بلات. (1961). الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء. ترجمة إبراهيم الكيلاني. دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر. دمشق.
- غانم جواد رضا الحسن. (2011). الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة العراق والمشرق الإسلامي. الطبعة 1. دار الكتب العلمية. بيروت.
- خضرة حمراوي. (2017). بين الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي - بحث في الخصوصية. مجلة كلية الآداب واللغات جامعة محمد خضير. بسكرة / الجزائر. العدد 21.
- ماجدة حمود. صورة الآخر في التراث العربي صورة الآخر لدى أبي حيان التوحيدي. مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. موقع الحوزة الإسلامي *hawzah.net*.
- فدوى محمد سليمان الخوالدة. ثقافة الجاحظ الأدبية والنقدية واللغوية من كتاباته. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة آل البيت. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم اللغة العربية وآدابها. الأردن.
- تركي بن الحسن الدهماني (2021). أخبار الجاحظ. الطبعة 1. أمواج للطباعة والنشر والتوزيع. عمان.
- هيفاء علي ديوب. (2014). الاستطراد في التراث الأدبي في القرن الثالث الهجري مؤلفات الجاحظ أنموذجاً. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة تشرين. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم اللغة العربية. اللاذقية.
- عبد اللطيف الزكوي. (2017/1/22). الأدب الفلسفي. موقع جبهة النضال الشعبي الفلسطيني.
- أمن فؤاد سيد. (1995 / 7 / 1). أبو حيان التوحيدي ومؤلفاته المخطوطة والمطبوعة. مجلة فصول. الهيئة المصرية العامة للكتاب. العدد 3.
- إحسان عباس. (1993). ملامح يونانية في الأدب العربي. ط 2. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.
- أحمد عبد الهادي. (1997). أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة.
- مارون عبود. (2012). أدب العرب. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة.
- عبد القادر العربي. (2014). بلاغة الخطاب وإبلاغية التأويل في محاورات أبي حيان التوحيدي. حوليات الآداب واللغات جامعة المسيلة. الجزائر. العدد 344.
- كامل محمد محمد عويضة. الجاحظ الأديب الفيلسوف. دار الكتب العلمية. بيروت.
- بيار ماشيري. (2009). بم يفكر الأدب؟ تطبيقات في الفلسفة الأدبية. ترجمة جوزيف شريم. ط 1. المنظمة العربية للترجمة. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- آدم متز. (1957). الحضارة الإسلامية. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط 3. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.
- سراج الدين محمد. الحكمة في الشعر العربي. دار الراتب الجامعية. بيروت.
- حسن نافعة وكليفورد بوزورث. (1989). تراث الإسلام، عالم المعرفة. الكويت.
- إبراهيم ياسين. (5 / 7 / 2008). قضايا أدبية في كتاب المقابسات، مجلة ديوان العرب الإلكترونية. *diwanalarab.com*.